مجلة الرائد

العدد : ٢٠١ الموافق في ربيع الثاني ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٨ ميلادي

عنوان المقال : الوجود الإسلامي في الغرب	الكاتب : محمد بن محمود

لا يخفى على أحد أن وجود معظم المسلمين في معظم البلاد الغربية طارئ دعت إليه الحاجة الاقتصادية ، أو الرغبة في التحصيل العلمي ، وهذا الوضع الطارئ ، وغيره من العوامل التاريخية كالحروب الصليبية مثلاً ، أثر في طبيعة الوجود الإسلامي في الغرب وأكسبه صبغة الهامشية ، وأوجد أيضاً علاقة هشة بين الجالية المسلمة والمجتمع الغربي ما فتئت تهتز من حين لآخر ، إذ يكفي وقوع حادث عابر في البلاد الغربية أو العالم الإسلامي ليقلب كل الموازين ويدعو الساسة الغربيين إلى إعادة ترتيب الأوراق ، ثم تطلق صفارات الإنذار وصيحات الفزع من الأجانب المسلمين ، بل إن الكثير من الصحف والمجلات أصبحت تستغل الوجود الإسلامي لتروج إنتاجها ، أو لهدم ما تم بناؤه من تفاهم وتقارب ، كما أصبح المسلمون - تحت اسم الأجانب - مختبراً يعمل فيه مهندسو الحملات الانتخابية لتوظيف ذلك ؛ قصد كسب الأصوات ، والفوز بعدد أكبر من المقاعد في البرلمان ؛ إما بوعد من تجنس منهم بوضع أفضل وتعامل أكثر عدلاً ، أو بتحذير الناخب من وجودهم ومن تهديدهم لحضارة الغرب وقيمة الديمقراطية وغيرها من الشعارات المعاصرة ، وكان من نتائج ذلك ما يلي :

❋ **الانطواء على الذات من قبل المسلمين ، وتوسيع الهوة بينهم وبين المجتمع الغربي ، حيث يعيش المسلمون في الغرب على هامش الأحداث ، لا يؤثرون فيها بل تؤثر فيهم سلباً في غالب الأحيان .**

❋ **تكريس الأحكام المسبقة في الجانب الغربي ، وبالتالي تنامي الحذر في التعامل القائم على جهل الطرف الآخر .**

ونخلص من ذلك إلى القول بأننا لم ندرك بعد طبيعة وجودنا في الغرب ، أو على الأقل بأننا لم نعالج المشكلة من أساسها وبنظرة شاملة ، فقد أدركنا متأخرين بأن أبناءنا استوطنوا في هذه البلاد ولا مجال للحديث عن العودة ، ورغم ذلك فإننا مازلنا نقدم الحلول السطحية غير المنهجية ، ونساهم بشعور أو بدون شعور في تكريس تهميش وجودنا ، في حين يعمل الطرف الآخر على أن يكون ذلك بالمقاييس التي يرضاها هو ، والشروط التي يضعها حتى لو خالفت المبادئ التي يدعو إليها ، كاحترام حقوق الإنسان ، وحرية الاعتقاد والتدين والتعبير عن الرأي . ولا أقصد من هذا العرض التهجم على المجتمع

الغربي ، أو تقديم نظرة سوداوية وبخس جهود العاملين من المسلمين في الغرب ، إنما هي محاولة لتقديم نظرة سريعة وموضوعية قدر الإمكان ، وحتى أزيد الأمر وضوحاً أضرب مثالاً واحداً وأحاول أن أدلل عليه :

إن عدم اهتمام المسلمين بالحياة السياسية والاجتماعية للمجتمع الذي يعيشون فيه يساهم في تهميشهم ، إذ لا تكفي هنا المتابعة بل لا بد من التفكير في المساهمة في مجرى الأحداث والتأثير فيها حتى تكون عضويتنا كاملة في هذا المجتمع وتلقائية وطبيعية . فمثلاً بإمكان المسلم المقيم في الغرب أن يبرز موقفه الشخصي والإسلامي من بعض القضايا الإنسانية كالاستنساخ . ويمكن أن يكون ذلك في أعمدة الصحف المحلية أو في عمله داخل الجامعة... ويتكلم كالمواطن الأصيل المقيم في هذه البلاد الذي يحب لها الخير والسعادة ، ويتوجه للمجتمع بكامله وليس للمسلمين فقط ، ولا أعتبر ذلك " تكتيكاً " أو تخطيطاً « استراتيجياً » كما يقال بل هو من صميم دعوة رسالة محمد ﷺ الذي بعث رحمة للعالمين ، وأحب الخير للناس جميعاً حتى قال لمن آذاه من قومه : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون... وما يقال عن القضايا الإنسانية يمكن أن يقال عن القضايا الاجتماعية الأخرى . على المسلم أن يبلغ صوته منطلقاً من عقيدته وما تقدمه من خير وحلول للمآسي التي تتخبط فيها الإنسانية اليوم ، وعندما يظهر المسلمون في الساحة بهذا الوجه المشرف المحب للغير ، فإنهم سيأخذون مع الزمن - وإن طال - مكاناً طبيعياً ومؤثراً في المجتمع . لقد مر كثير من الأحداث والوقائع وكان من النافع لنا أن تتعدد فيها الأقلام وتبرز النظرة الإسلامية للموضوع ، ومثال ذلك مؤتمر المرأة ، ومؤتمر معالجة الفقر ، اللذان دعت إليه جهات دولية ، فهل قدم المسلمون المقيمون في الغرب رأيهم في الموضوع ؟! وهل تعرف الرأي العام الغربي على ذلك ؟! وهل تعرف الإنسان الغربي على رأي المسلم الذي يحتك به في الشارع والجامعة والمعهد والمعمل ؟ أم اكتفينا بالحديث فيما بيننا وانتقاد هذه الأحداث بصوت لا يخرج من جدران حجرتنا ؟! علينا أن نكتسب مكانة في المجتمع من خلال نظرة عميقة للواقع المعاش ، وإعداد أفراد قادرين على ذلك بمستواهم الثقافي المتقدم وقدرتهم على الحوار ، وإدراكهم للمصلحة وما يحققها . من الضروري أن نستشرف المستقبل في ضوء الواقع ، بالنظر برأس مرفوع لما حولنا وأمامنا ، حتى لا ينطبق علينا قول الله عز وجل : {**أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم** }.

وما دمنا سلمنا بأن النشء المسلم قد استوطن في هذه البلاد فلا بد من تربيته على ذلك وتحسيسه بأهميته كل ذلك .

إن الحديث عن المساهمة الفعالة في المجتمع تدعوني للحديث عن مفهوم « المواطنة » ، فإن عدداً كبيراً من الجيل الأول من المسلمين اتجه نحو التجنس ، وجل الناشئين من أبنائهم حملوا جنسية بلد الإقامة . وهذه الجنسية في المفهوم التشريعي في هذه البلاد الغربية تعني حقوقاً وواجبات وعضوية في مجتمع ، إلا أننا نتعامل معها على أنها مجرد وسيلة تيسر قضاء بعض المصالح... لا أقدم هنا فتوى بجوازها من عدمه ، فذلك مهمة علمائنا الأفاضل ، ولكنني فقط أريد أن أشير إلى أننا ضيقنا مفهوم المواطنة في بلاد الغرب إلى أبعد الحدود على الواقع وعلى الوثائق الرسمية . وأقول ببساطة : إنه من واجبنا أن نجعل من أبنائنا مواطنين صالحين ومصلحين في كل مكان ، يحملون هَمّ البشرية في ثنايا فكرهم الإسلامي ومنهجية عمله ، وإن كنا نحن الوافدين قد اكتسبنا هذه الموطنة اكتساباً فإن هناك مسلمين غربيين عددهم في تنام . اكتسبوها بالأصالة أباً عن جد . فهل يجوز لنا بعد ذلك أن نحجم دورنا في هذا المجتمع ؟!

ثم إن بعدنا عن الحياة العامة وصياغة القرار السياسي قد عاد علينا في أغلب الأحيان بكثير من السلبيات والمصاعب ، فظاهرة الوجود الإسلامي في الغرب استرعت اهتمام كثير من الباحثين منذ سنوات عديدة ، ولكننا لم نساهم في تقديم المعلومات الصحيحة عن الإسلام ، ولم نساهم في صياغة هذه الدراسات التي كانت هي مهد هذا القرار السياسي . كما ساعدنا الجهات المعادية للإسلام والكارهة للمسلمين الوافدين ولأبنائهم في تضليل الرأي العام أكثر فأكثر ، لا يخفى على أحد أهمية هذه الدراسات ووزن الرأي العام في صياغة القرار السياسي . وابتعادنا عن هذه المجالات سوف يخدم قسماً كبيراً من الجانب الغربي ، الذي بنى عقليته بطريقة تنزل أحكامها على الواقائع بالرجوع إلى تاريخها هي فقط ، فإذا ظلمت الكنيسة العلم والعلماء فسيكون ذلك شأن المسجد ، وإذا كانت العادة الاجتماعية تقتضي بالاحتفال برأس السنة الميلادية فعلى المقيمين في هذه البلاد أن يحتفلوا بها الخ... لا بد إذن أن نلتقي بالرأي العام بشكل مباشر ، ومن تهيئة الفرص لذلك ، ومن استعمال الوسيلة المعاصرة المناسبة المؤثرة ، ولا بد أن نوجه ونساهم في الحياة العامة عوض أن نقف موقف المتفرج الذي تفاجئه الكرة الآتية من الملعب .

تلك بعض الخواطر الموجزة أرجو ألا يكون الاختصار قد أشكلها .